شرح أبيات سيبويه

الجزء الأول ـ تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني

الأستاذة سكينة الشهابي

بين مطبوعات المجمع التي صدرت في العام الماضي ١٩٧٦ « شرح أبيات سيبويه » لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٨٩هـ تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني .

وضع المحقق بين يدي كتابه مقدمة وافية تحدث فيها عن علم النحو وأقدم من ألف فيه ، ثم بيّن أهمية كتاب سيبويه في نظر علماء العربية القدماء وازدياد هذه الأهمية على مرّ الزمن مما جعل كثيراً من العلماء يقبلون على شرحه ، حتى تعاور هذا الشرح ٢٩ عالماً . وكان أهم هذه الشروح على الإطلاق شرح أبي سعيد السيرافي ، ومن ثم شرح ابنه أبي محمد لشواهده الشعرية — والذي نحن بصدد الحديث عنه .

وانتقل المحقق بعد ذلك ليعرفنا بالمؤلف ووالده وأسرته وبلده ، واستطاع أن يقرب إلى أذهاننا مكانة أبي محمد السيرافي في رحاب العلم وفي عالم التأليف وأن يعطينا صورة حية دقيقة عن حياته وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية ، حتى كأننا عدنا لتونا من سيراف وقد حضرنا حلقة أبي سعيد وعشنا ساعات طويلة مع ابنه أبي محمد نناقشه في كثير من القضايا اللغوية والنحوية.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للكتاب أهمية كبيرة لأنه يناقش أكثر القضايا التي تعتلج في تفكير قارئي النحو ودارسيه ممثلة بالشواهد الشعرية مفسرةً ومشروحةً . والذي يزيد في هذه الأهمية أن المحقق وضع بين أيدينا موقف الغندجاني في « فرحة الأديب » من تفسيرات ابن السيرافي لكثير من الشواهد الشعرية وحديثه عن مناسباتها . ولم يكن يقف من رأي الرجلين موقف المتفرج بل كان يضيف إلى التعليق تعليقاً ، وإلى التفسير تفسيراً ، ولا يألو جهداً في ذكر الفروق بين الروايات مبيناً ما يفضله منها على غيره . وأسلوبه في ذلك أنه يسير مع ابن السيرافي بدقة وتؤدة حتى إذا سها أو أنقص شيئاً أتم ما أنقصه في الحاشية ، وبيَّن ما كان يجب أن يقال في مثل ذلك الموضع . وفي أكثر الأحيان تأتي حواشيه مغنية في تحقيق نسبةٍ ما وترجيح الصحيح منها على غيره فهو مثال المحقق الناقد ، والنحوي المتمكن الذي لا يكتفي بعرض وجهات نظر القدماء دون أن يضع بين أيدينا رأيه الشخصي ، ويظهر لنا من خلال ترجيحه رأياً على رأي ميلَه إلى ما يقوي المعنى في الإعراب مجارياً أستاذ العربية سيبويه . ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ص ٤١١ في إعراب مابعد حتى من هذا البيت :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتـــى نعله ألقاهـــا

قال : « فالجر بحتى ، والنصب على العطف ، والرفع على الابتداء ، و « ألقاها » الخبر .

قلت : أرى أن الحالة الأخيرة أجود للمعنى ، فالأمر غريب ، ويحسن لإبرازه جعله في جملةٍ تلفت إليها الاهتمام متجدداً » .

ومن لفتاته الطريفة إلى المعاني ما جاء في ص ٤٧٤ ، في تعليقه على رواية بيت الأعشى :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبيداء بالليل غطى الفلاة يؤرقني صوت فيّادها

أعادنا المحقق إلى الديوان وقال : « وجاء في عجز الثاني : (يؤنسني) بدل يؤرقني ، وهو أجود ليدل على مشقات رحلته إلى الممدوح » . والحقيقة أن (يؤرقني) هنا ليست مناسبة للمعنى لأن المجال ليس مجال الحديث عن النوم والأرق في هذه الصحراء الموحشة ، والغاية كلها المبالغة في وصف هذه الصحراء بالرهبة حتى إن صوت البوم ، على مايبعثه في النفس من تشاؤم وانقباض ، ربما غدا في هذه الفلاة المرعبة باعث أنس واطمئنان .

والأمثلة على التعليقات الجيدة كثيرة ، ويهمنا أن نقول : إنها زادت في أهمية هذا السفر الثمين الذي حرص محققه على سلامة أصله وتقريبه إلينا مادة سليمة خالية من التصحيف والتحريف ما وسعه ذلك .

ولعل من أكبر العقبات التي تواجه المحقق تلك العبارات المصحفة والمحرفة ، التي يعمل على إعادتها إلينا بأصلها السليم وبيان ما طرأ عليها بسبب تعاقب النسخ والتباس المعنى على النساخ . والدكتور سلطاني يثبت في هذا المجال أصالة طيبة ، فهو يطالعنا بلفتات ذكية تضع بين أيدينا العبارة السليمة قبل أن تمتد إليها يد التصحيف والتحريف ونجد نموذجاً لعمل المحقق هذا في ص ٤٧٩ ، في حديثه عن العبارة المحرفة : « مررت برجلٍ يقوم عبد الله وزيد » ، والتي ورد في حاشيتها : « برجالٍ يقومون ، صح » . يقول المحقق : « ويبدو أن هناك سلسلة تصرفات قام بها متداولو النسخة ، فعبارة الناسخ الأول : مررت بقومٍ عبد الله وزيدٍ ، ظنها الثاني (يقوم) فوضع قبلها (برجل) ، فاصبحت : « مررت برجلٍ يقوم عبد الله وزيدٍ » ، فجاء الثالث ليرى أن إبدال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجمع من المفرد غير صحيح ، فذكر في الحاشية : « برجال يقومون ، صح » ، وبذلك أصبحت عبارة النسخة : « مررت برجالٍ يقومون برجلٍ يقوم عبد الله وزيد .. » وصوابها — كما ذكر سيبويه :

« مررت بقومٍ : عبد الله وزيد .. »

ومما يجمع المتعة إلى الفائدة في الكتاب أن تفنّد الشروح السقيمة في الكتاب بلسان الغندجاني صاحب « فرحة الأديب » ، وأن يعرض علينا المحقق بأمانة تلك المواقف الجريئة التي يفحم بها الغندجاني خصمه ، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ص ١٧٦ من تفسير سقيم لهذا البيت :

فأصبحوا والنوى عالي معرَّسهم وليس كلَّ النوى يلقي المساكين

فقد قدم الغندجاني المعنى الصحيح للبيت ورد بانفعالٍ وقسوة ما أورده ابن السيرافي في تفسيره لمعناه .

* * *

وإلى جانب حسنات التحقيق هناك بعض الهفوات التي لا تنتقص من أهمية هذا العمل الضخم .

١ — هناك تفصيلات لا لزوم لها آتي ببعضها على سبيل التمثيل لا الحصر ، وذلك أن الدكتور سلطاني لا يكتفي بشرح اللفظة الغامضة وبيان موقفه من لفظةٍ أخرى له فيها رأي ، بل هو يعمد إلى لفظةٍ شرحها ابن السيرافي في المتن بما يناسب السياق ليشرحها هو شرحاً عاماً في الحاشية ، كما في لفظة « التهكم » ص ٨٢ . يقول الشارح : « تهكمت عليه أي وقعت عليه ، ويقول المحقق في الحاشية : التهكم : التهدم في بئر ونحوها » . ولا أرى من حاجةٍ إلى هذا الكلام ما دام النص لا يحتاج إليه .

وفي تعليقه على هذا البيت ص ٣٦ :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حدبتْ عليّ بطون ضبّة كلها إن ظالماً فيهم وإن مظلوماً

قال : « وذكر الأعلم أن رواية « ضبة » تصحيف » . فأين وردت هذه الرواية التي يشير إليها ؟ وفي اعتقادنا أنه قد استقصى الروايات ، وأظنه لا لزوم للإشارة إلى روايةٍ ليس لها ذكر في كتابنا هذا سواء في ذلك المتن والحاشية .

٢ – قد يعاد الحديث في الموضوع الواحد مرات كثيرة في أماكن متفرقة من الكتاب والمحقق لا يلتزم في ذلك خطةً واحدة ، فهو تارة يشير بمثل قوله ص ١٨٢ « تقدم نظير ذلك في الفقرة ١٧ » ، وقد يظل ملتزماً جانب الصمت كما في ص ٩٨ إذ لم يشر إلى تقدم نظيره في ص ٩٦ ، وفي ص ٢٧٥ لم يشر إلى تقدم نظيره في ص ١٥٥

٣ – في شروح المؤلف ما يستحق أن نقف عنده قليلًا ، فقد ورد في ص ١٧١ بيتان للأخطل برواية ، والذي نجده في شرح ابن السيرافي تفسير لروايةٍ ثانية أشار إليها في الفقرة ٤٧ إشارة ولم يفسرها ، والمحقق لم يقدم بين يدي ذلك أي تعليق .

ونجد أيضاً في تفسير هذا البيت :

وكرار خلف المحجرين جواده إذا لم يحام دون أنثى حليلها

كرار معطوف على الأول و « المرهقون » الذين لحقتهم الخيل يريد أنه يكر جواده خلفهم حتى يستنقذهم . « حفاظاً » : يحافظ على ما يوجب الكرم في الوقت الذي لا يقاتل الرجل عن امرأته ويفرّ عنها » . ولا شك أن هذا الكلام ليس تفسيراً لرواية البيت التي بين أيدينا ، وإنما هو تفسير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لرواية الديوان التي أثبتها المحقق في الحاشية من غير تعليق على هذا الذي فعله ابن السيرافي :

وكرار خلف المرهقين جواده حفاظاً إذا لم يحم انثى حليلها

كنا نود أن يقدم لنا المحقق تفسيراً أو تعليلاً لعمل الشارح .

وهناك عبارة في الصفحة ذاتها وهي : « وذلك إذا عظم واشتد » لم يتضح لي فيها فاعل الفعلين فهل يعود على « الوقت » المتقدم ، ويكون الذي يعظم ويشتد هو الظرف ؟ لا أدري ! والذي يخيل إلي أن هناك سقط كلمة من الجملة .

ويتكرر عمل ابن السيرافي بأن يورد رواية ويفسر أخرى ونظل متلهفين على تعليق من المحقق يفسر فيه هذا العمل كما في الصفحة ١٩٢ في تفسيره لهذا البيت للفرزدق :

ولكن نصفاً أن سبيت وسبني . . .

فابن السيرافي يعرب رواية : لو سبيت وسبني

٤ — ومن تعليقات المحقق مالا يمكن أن يمتلك اقتناعنا ، مثاله ما ورد في تفسير هذا البيت ص ٦٠

لقـــد علمت أولى المغيرة أنني لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا

يقول ابن السيرافي : « ولم أنكل : لم أعجز ولم أخم عنه » . يعلق المحقق في الحاشية بقوله : « الوخم : الرجل الثقيل . القاموس : « وخم » ١٨٥/٤ ، وجاء في المطبوع أحم بالمهملة » . وفي اعتقادي أن اللفظة مصحفة ، ولعل الصواب الذي أراده ابن السيرافي والذي أراه أقرب لمعنى البيت « أجم » — بالجيم — من وجم يجم فهو واجم أي ساكت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على غيظ . يقال : لم أجم عنه أي لم أسكت عنه فزعاً . اللسان : « وجم ».

٥ – يعيدنا المحقق إلى مادة اللسان كما يحيل على الجزء والصفحة ، ويبدو لنا أن المحقق يأخذ المادة من رأس الصفحة وليس من عنوان فصلها – في الباب نفسه – وهذا يؤدي إلى أن يعيدنا في كثير من الأحيان إلى غير المادة التي نحن بصددها ، والأمثلة على ذلك كثيرة : في ص ٨٥ يعيدنا المحقق إلى مادة « فرص » ، والمادة التي ورد فيها بيت كعب المعني في اللسان : « فحص » ، وفي ص ١٥٩ يعيدنا إلى اللسان : « زلخ » والبيت الذي يعنيه في مادة « زخخ » ، وفي ص ٣٧٩ يعيدنا إلى مادة « لتا » والبيت المقصود في « لبى » ، وفي ص ٥٩٩ يعيدنا إلى مادة ضوط ، والصواب : « ضغط » .

٦ – قد يهمل المحقق الضبط اللغوي لألفاظ يعتمد تفسيرها على الضبط كما في ص ٣٩٣ س ٦ حيث وردت كلمة « مَوْرِدَة » بمعنى الطريق فأهمل المحقق شكلها مع أنه شيء أساسي من أجل دقة لفظها وسلامته .

٧ – ومما نستطيع إدخاله تحت عنوان : أخطاء مطبعية ما ورد في ص ١٨٤ حيث صحفت لفظة « هُرَيْم » فأصبحت « هُرْتَمُ » ، وجاء تعليق المحقق في الحاشية وكأنه يعتقد أن ما جاء في المطبوع صواب مع أنه لا يصح في البيت وزناً ولا معنى – فهو يعيدنا إلى ديوان طفيل ويقول : وجاء في صدر الأول – أي البيت – هُرَيْم .

وهناك بعض الأخطاء التي ترتد الى الطباعة لاشك منها ما جاء في ص٣٦٢ س ٦ « وصف يبكي » ، وصوابه وقف يبكي ومنها ص ٣٦٦ س ٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« نقصي » وصوابه « نقضي » . وفي ص ٤٩٢ س ٣ الصواب « ابن » بتثبيت الألف .

٨ — وعلى الرغم من دقة المحقق وتتبعه لتفسيرات ابن السيرافي فهناك أشياء تجاوز عنها ولا أدري فيما إذا كان هذا التجاوز عن قصد أو عن غير قصد .

ومن الأمثلة على التزامه جانب الصمت في أشياء تحتاج إلى الاثارة ما جاء في ص ٤٩٩ في تفسير هذا البيت :

يا مي لن يعجز الأيام ذو حيدٍ بمشمخرٍ به الظيّان والآس

قال الشارح : « الظيان : ياسمين البر ، والآس نقط من العسل تقع من النحل على الحجارة » . ولا أرى تفسير اللفظة الثانية جيداً ، لأن الآس هنا هذا النبات الأخضر المعروف ذو الرائحة الجميلة ، قال ابن منظور : والآس ضرب من الرياحين ، قال ابن دريد : الآس هذا المشموم ، أحسبه دخيلاً غير أن العرب قد تكلمت به وجاء في الشعر الفصيح . قال الهذلي :

بمشمخرٍ به الظيّان والآس

ولعل قسوة الغندجاني في إقحام خصمه جعلت المحقق يتغاضى عن بعض الهفوات لئلا يزيد المسألة تعقيداً والجو اكفهراراً حول ابن السيرافي .

وربما كان آخر ما أستطيع أن أقف عنده ماورد في ص ٤٤٠ تحت عنوان : قلب ياء المتكلم ألفاً . قال : « يا ابنة عمي لا تلومي واهجمي » . في تخريجه للبيت يذكر أنه عند سيبويه « يا ابنة عما » ، وكذلك في الأغاني وشرح شواهد المغني والخزانة ، بابدال الياء ألفاً ، ويقول :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ولا شاهد فيه على رواية ابن السيرافي » . فما دام لا شاهد فيه على هذه الرواية كيف يضعه المحقق تحت عنوان قلب ياء المتكلم ألفاً !!

هذه هفوات طفيفة في هذا العمل الضخم ، ويظل الكتاب من أبرز مصادر الشواهد النحوية التي اتقن ضبطها وأجيد تفسيرها واستقصيت رواياتها .

وبما أن ابن السيرافي لا يراعي في عرضه لهذه الشواهد نظاماً معيناً فإنه يصعب على المراجع العثور على الشاهد الذي يريد خاصة وأن الشواهد المتعلقة بالموضوع الواحد منتثرة متفرقة في زوايا الكتاب . ومن هنا فإن هذا الجزء بانتظار الجزء الثاني الذي سيصدر قريباً مجهزاً بالفهارس الشاملة التي وعدنا بها المحقق ، وهكذا ستظل فائدة هذا الجزء محدودة إلى أن يصدر الجزء الثاني منه إن شاء الله .

سكينة الشهابي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net